من مخالفات البصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن من شكر الله تعالى على نعمه أن تُصرف هذه النعم في مرضاته، أما من صرفها في معصية الله، فقد كفر تلك النعمة وجحدها، وإن مِن أكبر نِعم الله على العبد أن جعله بصيرًا، يبصر الأشياء من حوله؛ ولهذا من حرَمه الله من نعمة البصر، فكان أعمى وصبر على ذلك، كان جزاؤه الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ». رواه الترمذي.

فلا نصرف هذه النعمة في معصية الله، إلا أن كثيرًا من الناس خالفوا أمر الله عز وجل، وسَخَّروا أبصارهم فيما يُغضب الله؛ وذلك بالنظر إلى ما نهوا عن النظر فيه.

وإليك بعض مخالفات البصر التي وقع فيها كثير من الناس لعلنا نتوب منها:

فمن أخطر آثام البصر والتي حصل فيها التهاون الأمور التالية:

أولًا: إطلاق البصر إلى ما حرم الله عز وجل، بالنظر إلى النساء الأجنبيات، أو إلى المردان من الغلمان، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ

يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾.

ولقد حصل تساهلٌ كبير في هذا الأمر، وفي هذه الأزمنة التي تعرّت فيها المرأة بشكل لم يسبق له نظير، وأصبحت المرأة ومفاتنها تُعرَض بصور متعددة، وتولَّى الإعلام كِبَر هذه المفاسد والفتن، ولم يسلم في هذا الزمان من فتن النظر إلى الأجنبيات وإلى صورهن، إلا من رحم الله عز وجل، وخاصة بعد ظهور القنوات الفضائية، وشبكات الإنترنت ومواقع التواصل التي أقبل عليها كثير من الناس، ومع مرور الوقت يألف الناس مناظر النساء، بل إن انفراد الإنسان بأجهزة الجوال على هذه الحال أشبه بمن يخلو بالمرأة الأجنبية؛ حيث يكون الشيطان ثالثهما، فكما تغري الخلوة بالمرأة الفجور بها؛ فإن الخلوة بهذه الأجهزة تغري باقتحام المواقع التي فيها النساء الفاجرات من باب الفضول، فلا يلبث هذا المسكين أن يقع في شباك الشيطان، ولا يستطيع الصبر عن هذه المناظر، ويترتب على ذلك الفساد وضَعف الإيمان والاستقامة، والدليل على ذلك ما نسمعه من كثير من الناس في مجالسهم، وهو يتغزلون في جمال مقدمات الأخبار أو الممثلات، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي». رواه مسلم.

وقد تساهل كثير من الناس بإطلاق أبصارهم إلى النساء المتبرجات، سواء كنَّ نساءً في الأسواق أو ممرضات في المستشفيات أو خادمات في البيوت؛ حيث يرون أن ذلك من الصغائر أو يدّعون أنهم ينظروا إليهنَّ بدون شهوة، وهذا من تزيين الشيطان للعبد حتى يُلقيه في حبائله.

ثانيًا: ومن مخالفات البصر: النظر إلى السماء أثناء الصلاة، فقد ورد النهي عن فعل ذلك؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَلَا يَرْفَعْ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ أَنْ يُلْتَمَعَ بَصَرُهُ». رواه النسائي.

وقد حدد لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مواضع النظر داخل الصلاة، فأمرنا صلى الله عليه وسلم أن ننظر إلى موضع سجودنا أثناء الوقوف، وأن ننظر إلى موضع القدمين أثناء الركوع، وأن ننظر إلى السبابة أثناء الجلوس، ونهانا أن نلتفت بأبصارنا يمينًا وشمالًا كالتفات الثعلب، وبيَّن لنا أن الالتفات داخل الصلاة إنما هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد.

ثالثًا: من مخالفات البصر: نظر الرجل إلى عورة الرجل، والمرأة إلى عورة المرأة، سواء كان ذلك إلى العورة المغلظة أو التي دونها، وهذا ما يراه الناس في التلفزيون والجوالات من النظر إلى عورات الرجال في الملاعب والمسابح وغيرها، وقد قال صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لَا تَكْشِفْ فَخِذَكَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى فَخِذِ حَيٍّ، وَلَا مَيِّتٍ». رواه أبو داود.

رابعًا: ومن مخالفات البصر: أن تُري عينيك ما لم ترَ في المنام، كأن تدَّعي

كذبًا أنك رأيت في المنام كذا وكذا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَفْرَى الفِرَى - يعني من أكذب الكذب - أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ».

خامسًا: ومن مخالفات البصر: النظر إلى عورات البيوت، وقد جاء التغليظ في ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنِ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَؤُوا عَيْنَهُ». رواه مسلم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل كان ينظر من خُلل الباب وَمَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ، لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ». رواه البخاري.

فالنظر إلى عورات البيوت محرَّم، وأما ما يفعله الأغبياء من تصوير بيوتهم عن طريق السناب ونحوه ونشرها في المجتمع لأجل صناعة محتوى والحصول على الشهرة، فإن هذا نوع من الوقاحة وقلة الحياء وضعف الغيرة، ولا يجوز نظر الرجل للمرأة والعكس.

سادسًا: ومن مخالفات البصر: النظر إلى المنكرات دون تغييرها مع القدرة على ذلك؛ إذ قد يرى المسلم منكرًا من المنكرات، ويبقى ينظر إليه، ويحضر في مكانه مع قدرته على التغيير، وهذا بحد ذاته منكر؛ إذ لا يجوز إطلاق البصر إلى معاصي الله تعالى دون تغيير، وإنما المتعين في هذه الحالة تغيير المنكر أو صرف النظر عنه وهجْر مكانه، فهذا مما ينبغي صرف

النظر عنه إلا لمغير له، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ»، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المِجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ».

سابعًا: ومن مخالفات البصر: غمز العين للسخرية بالناس ولمزهم أو غمزها للمغازلة، والله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وقد حذر الله عز وجل المؤمنين قائلًا لهم: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾. فالمرء سيسأل لا محالة عن بصره فيما صرفه فيه، فليتقِّ الله كل مسلم في بصره.

ثامنًا: ومن مخالفات البصر: النظر في كتب الكفر والإلحاد والبدع، والفسوق والمجون، وهذا أيضًا يُعد من آثام البصر، ومخالفة لطريق أهل الاستقامة، فإن العلماء ينهون أشد النهي عن النظر في مثل هذه الكتب للقراءة المجردة؛ لما تحتويه من الشبهات والكفريات، والاستهزاء بالدين وأهله، وقد كثر في زماننا نشر الروايات التي تحارب الله ورسوله ودينه وانطلق البنات بالذات في متابعة تلك الروايات والقصص الشركية والبدعية، فكل هذا لا يجوز النظر فيه، ويلحق بذلك النظر إلى مواقع أهل البدع والإلحاد المخالفين لأهل السنة والجماعة، وما أكثر مواقعهم على شبكة الإنترنت، ومثلها سماع ومتابعة حوارات أهل الضلال وناشري

الشبهات لإفساد الدين.

تاسعًا: ومن مخالفات البصر: النظر إلى الناس نظرة كبر وحقد وتعالٍ، ولا شك أن هذا أمر محرم؛ لأنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبرٍ، وإنك ترى بعض الناس ينظرون إلى عيوب غيرهم، بل يتصيدونها ولا ينظرون إلى عيوب أنفسهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ الْقَذَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجِذْعَ فِي عَيْنَيْهِ". رواه ابن المبارك في الزهد.

فرحم الله من حفِظ قلبه ولسانه، ولزِم شأنه، وكفَّ عن عِرض أخيه، وأعرض عما لا يَعنيه.

عاشرًا: ومن مخالفات البصر: الإكثار من النظر إلى متاع الدنيا وزُخرفها بمد البصر إلى ترف المساكن والمآكل والمشارب، والاهتمام بذلك، والولوع بالنظر إليه، وقد خدم السناب وغيره من التطبيقات هذه البلية وتعاظم وتكاثر عند الناس، وإن إدامة النظر إلى أحوال أهل الترف خصوصًا الكافرين منهم يَصرف عن الآخرة، وقد يوقع الناظر فيها في محرم أو تكليف نفسه ما لا تطيق مسايرةً لأهل الدنيا، وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولحق بذلك كافة أمته: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

فينبغي علينا الحذر كل الحذر أن نصرف هذه النعمة العظيمة في معصية الله، ولنحذَر كلَّ الحذر من مخالفات النظر، فالله عز وجل سيذكرك بهذه

النعمة العظيمة يوم القيامة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ وَالحَرْثَ، وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ يَوْمَكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ لَهُ: اليَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي".

رواه الترمذي.

*** ***

الخطبة الثانية

وهناك وسائل عديدة تُعين المسلم على حفظ بصره عن معصية الله عز وجل، يمكن إيجازها فيما يلي:

أولا: التقرب إلى الله عز وجل بكثرة النوافل، ومن فعل ذلك عصَم الله بصرَه من الحرام، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله عز وجل قال: "وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ". رواه البخاري.

ثانيًا :الإكثار من سؤال الله عز وجل أن يجعل في بصرك نورًا، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك في سجوده؛ حيث جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:

«اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَعَظِّمْ لِي نُورًا». متفق عليه.

ثالثًا: الاستعاذة من شرّ بصرك، فقد روى شَكَل بْن حُمَيْدٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي تَعَوُّذًا أَتَعَوَّذُ بِهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِكَفِّي فَقَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي. رواه أبو داود.

رابعًا: المسارعة إلى الزواج، فإنه أحفظ للبصر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ». متفق عليه.

ختامًا، فإذا أردت حفظ جسدك من شمس الآخرة أثناء وقوف الناس خمسين ألف سنة للحساب، فعوّد عينيك البكاءَ من خشية الله؛ فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من السبعة الذين سيظلهم الله في ظله: رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه. وإذا أردت حفظ جسدك من النار أثناء مرورك على الصراط؛ فغُضَّ بصرك عن محارم الله، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "ثَلَاثَةٌ لَا تَرَى أَعْيُنُهُمُ النَّارَ: عَيْنٌ حَرَسَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ". رواه

الطبراني.

وعليك بإدامة النظر في كتاب الله عز وجل والإكثار من القراءة فيه.

وخاصة المصحف الورقي وليس المصحف الموجود في الجوال.